العلاقة مع الآخر و التصورات الاجتماعية في الإيديولوجية الاستعمارية: الجزائر كنموذج

- أ. د علي قوادرية
رئيس جامعة سكيكدة

سنتناول في هذه المداخلة مدى إسهام التصورات الاجتماعية في بناء الظاهرة العنصرية، و كذا تحليل الإنتاج الخاص بالخطاب الاستعماري الحامل لهذه الأخيرة. وسنستند في ذلك على منظومة الإنتاج الفكري الحاملة للعلاقات الطائفية مع ما يُسيِّر من حولها من مختلف التصنيفات، الهوية الثقافية، السلالات، الاجتماعية، الأحكام المسبقة و المقولبات السلوكية...إلخ.

إنّ المُستعمَر، العربي، الجزائري والأهلي، هذا الآخر سواء كان فردا أو جماعة، يُعرّف بانتمائه إلى طبقة هي اجتماعيا خاضعة للعبودية الإستعمارية، هذا الآخر الذي وُصف على أنّه كائن وحشي وبربري كان موضوعا لإدراكات إستدلالية، سوسيو معرفية أو سلوكية، إدراكاتٌ من خلالها تتكوّن الوجدانات ذات الطابع الوسواسي و اللاّعقلاني و التي تؤدّي إلى إنشاء المقولبات المحدّدة لأهداف العنصرية.

هذا التنسيق من الممارسات و الخطابات و التصورات ، وكذا المقولبات العاطفية عادة ما ينتج عنه تكوين ما يسمّى " بطائفة العنصريين "، حيث تربط أفراد هذه الجماعة روابط التقليد والإكراه التي تؤدّي بضحايا العنصرية إلى إدراكهم " كطائفة عنصرية " Denise Jodelet « Formes et figures de l'altérité » (2005)(1)

إنّ العلاقة بين الحدث و ردود فعل الآراء تشكّل جزءا كبيرا من الماهية و الجوهرية الخيالية للواقع، أيضا ميكانيزمات إعادة إنتاج التصورات الإجتماعية هي الأخرى تعتمد على رهانات المرآة العاكسة للصور المخزّنة، بالإضافة إلى أنّ تحليل بناء العنصرية ذاتية المرجعية التي منها تتأسّس الطبقية العليا للعنصريين المستلمين للسلطة المهيمنة، هو الذي يسمح بإقرار مكانة دنيا و صورة مشوّهة للضحايا.

وفي كتابه « Pour la révolution Africaine, éd. La découverte poche, 2001 » (2) أشار *Frantz.F* إلى *" أنّ العنصرية ليست كلّ شيء، لكنّها العامل الأكثر وضوحا و الأكثر فظاظة للتركيبة المعطاة "*. أين تبرز أهمية إدراك الظروف المتشابكة و ظواهر ترسيخ العنصرية في تصوّر الجماعات الإجتماعية.

وبعيدا عن هذه المسلّمات، سيكون من الصعب أن نعيد إلى الذاكرة مجموعة الموادّ التجريبية التي تكوّنت من خلالها التصورات الإجتماعية لصورة الجزائري وتصنيفه ضمن الهيمنة الإستعمارية، و مع ذلك سنحاول تحليل بعض الكتابات التي تعتبر راية العنصرية في إنتاج صورة الأهالي في الخطاب الإستعماري، هذه الأخيرة هي مُكوَّنة بفعل الميكانيزمات الإيديولوجية المهيمنة والموصوفة بعدّة أوصاف يتعذّر عَدُّها و التي تعتبر محلّ استهلاك و حديث البرامج المدرسية و كذا الأدبيات الاستعمارية مرورا بوسائل الإعلام.

- فكيف تكوّنت صورة الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي؟
- ما هي العوامل التي أثّرت على تكوين هذه الصورة ؟
- و ما هي ممارسات استدخال التصور الاجتماعي لهذه الصورة و ترسيخها في التمثُّل الاجتماعي ؟

السخرية الثقافية و الإرادة الإيديولوجية في خضوع المُستعمَر

في حركة من التسلّط و السيطرة و النهب التاريخي للأحداث، صاغت إمبراطورية المستعمر الفرنسي طقسا عمل على تسيير أفكار السخرية و المخادعة الأنثروبولوجية للشخصية القاعدية للفرد الجزائري. إيديولوجيةٌ لا ترمي إلاّ لتشييع صورة مشوّهة عن الجزائري بهدف السيطرة عليه و إبقائه في خدمة المستوطن الفرنسي، و لهذا كان على المستعمر أن يمثّل الجزائري في صورة " البدائي " المتميّز بغيرية سلبية، و في هذا المجال كتب *Frantz.F* في كتابه « Les Damnés de la terre(1961), éd. La découverte poche, 2002 (3) قائلا: *" لغة المستوطن عندما يتحدّث عن المُستعمَر هي لغة (...) تستخدم التلميح لحركات الزحف الأصفر من أجل تحرير مدينة الأهالي من العفن و الفوضى و النتانة و التكاثر و التومئة، فالمستوطن يرجع باستمرار إلى محبس الوحوش من أجل إيجاد الكلمة و الوصف المناسب "*

إنّ إنتاج الصورة السلبية عن الآخر (الجزائري) أخذت مكانتها منذ السنوات الأولى للإستعمار كقاعدة خلفية للغزو الإستعماري ، و ذلك بالإعتماد على الخطاب العنصري الموسوم في الأدبيات و البرامج المدرسية " بالخطاب العلمي ". فمن جهة نجد المعرفة، الحضارة، المفهوم و الإدراك الجيّد. و من جهة أخرى نجد الغريب، البربري، الماكر، المتهاون، المعتوه الهستيري، المتبجّح، الكذّاب و السارق...إلخ. هذا الأهلي هو بدون شكّ الموضوع الأكثر إستهدافا في تكوين الأحكام المسبقة في التصوّر الإستعماري. و في هذا الصدد كتب *Frantz.F* في كتابه « L'an V de la révolution algérienne (1959), éd. La découverte poche, 2001, P12 (4) قائلا: *" الإستعمار يحارب من أجل تعزيز سيطرته واستغلاله البشري و الاقتصادي. كما يحارب من أجل إبقاء الصورة التي يكوّنها عن الجزائري و كذلك الصورة المحقّرة التي يكوّنها الجزائري عن نفسه "*.

والأهلي البدائي[1] هو متوحّش لكنّه يعتبر ضروريا للإستعمار بصفته يدا عاملة، فهو يوصف بالحيوانية المتميّزة بالوحشية و العنف: " الوحشية، الحَيْوَنة، طعم الدم، الفيتيشية، الظلامي و الغباوة الوراثية، كلّها تعتمد على فكرة ما تحت الإنسانية الخامدة، إنسانية مجاورة للإستعمار بين حدود الإنسانية و اللاّإنسانية "(5).

وقد تحدّث كلّ من *Pascal Blanchard*، *Nicolas Bancel* و*Laurent Gervereau* في « Image et colonies, Achac-BDIC » عن صورة الآخر العفنة في بدائيته المتوحشة و التي انتشرت بشكل رهيب و واسع في الجزائر كما في البلد الأصلي للمستعمر، حيث سمحت و من خلال الحكايات الأسطورية بتكوين شبكة قراءة أدّت بالجزائري/ الأهلي إلى إخضاعه للمستعمر.

إنّ الخطاب التصنيفي سمح بظهور تصوّر الجزائري كشكل من الحيوانية المتسمة بهجمات وحشية، في حين نجد المستوطن يُوصَفُ ككائن متطوّر حامل للحضارة الغربية و للقيم الخاصّة بفرنسا و التي تمنحها تفوّقا يجعل من وجودها في الجزائر أمرا مشروعا. *" إنّها الحضارة التي تأتي ضدّ البربرية"*.

و في 1841 كتب *Victor Hugo* بشأن الإستعمار الفرنسي بالجزائر قائلا: *"هو شعب نيّر وجد شعبا في الظلام*(in Priollaud.N, La France colonisatrice, Paris, éd Levi-Messinger, 1983)»(6) فاستعمار الجزائر يوصف على أنّه فعل نبيل من قبل دولة متحضّرة مُوجَّه نحو شعب بدائي و متوحّش، مُكوّنا بذلك أسطورة حقيقية لصورة الجزائري في التصوّر الاستعماري، صورةٌ دوغماتيـة مبنية و مُعَدَّة في البرامج المدرسية، لا تستطيع إلاّ أن تكون حقيقة. حيث تلمس تدريجيا التصوّر الاجتماعي ومفهوم

[1] عادة ما تستعمل في ميدان العلوم الإجتماعية و التاريخية، و في اللّغة الفرنسية هو دلالة إضافية لمفهوم التحقير و المرتبط بالتطوّر الدلالي أثناء الفترة الإستعمارية، فالأهلي نعني به ذلك الفرد الغير متحضّر أو الغير مواطن.

الحساسية المشتركة، فهي تعمل على إنتاج آثار الترسيخ على جميع المستويات بما في ذلك التصوّر الاجتماعي الذي يكوّنه الجزائري في حدّ ذاته.

الأنثروبولوجيا في خدمة الإيديولوجية الإستعمارية

من أجل الفهم و الإدراك الجيّد لتصوّر المُستعمَر و الذي لا يُتصوَّر كما هو في الحقيقة، بل و حصريا تحت سلطة المُستعمِر، سنتناول بعض القراءات الأنثروبولوجية، العقلية و التأريخية: و من خلال هذه القراءات يمكننا أن نفهم كيف تتبلور الدوافع و الأحكام اللاّواعية للإيديولوجيا الإستعمارية، و حركات التصنيف الأنثروبولوجية (*) و العقلية المبرّرة للإستعمار المُؤسِّس للطبقية الإنسانية.

فتاريخ الأمراض العقلية في الجزائر تميّز بتطوّر النظرية " العلمية " لبدائية الأهلي المغاربي، إنّها نظرية أرادت و بكلّ الوسائل تبرير هيمنة المُستعمِر بكلّ إسهاماته في إخضاع شعب تحت سيطرة شعب آخر و ذلك من خلال الدليل العلمي. حيث عرفت تحت إشراف (1876-1965) *Porot* (7) و تلاميذه، تظاهرة رمزية شعارية أعطت تفاوتا طبقيا للإنسانية. فالجزائري و المغاربي بصفة عامة صُنّفا في منتصف الطريق بين الإنسان البدائي و الإنسان الغربي المتطوّر و المتحضّر، وأطروحته ارتكزت على أنّ المغاربي و نظرا لكونه محروما من الفصّ ما قبل الجبهي، فإنّه غير قادر على القيام بسلوكيات أخلاقية ، ليس لديه ذكاء مجرّد و لا وعي فردي بل و شخصيته ناقصة أيضا.

بتعميم هذه النظرة و انطلاقا من الحتمية الصبيانية، السذاجة الطفولية، غياب الشهية العلمية و الإيحائية والخضوع للغرائز، نشر *Porot* في عام 1918 ملاحظاته حول الأمراض العقلية عند المسلمين(8). حيث كانت أطروحته جدّ مذهبية ، عرّفت المغاربي المسلم " *كمعتوه هستيري لديه إندفاعات القتل الغير متوقّعة* " كما ألصق به صفات المتبجّح أو الثرثار، الكاذب، السارق و المتهاون.

و في 1932 ضخّم *Porot* من عنصريته وكراهيته للجزائري، حيث طوّر نظريته و ناقش أطروحته المعنونة " *بالإندفاعية الإجرامية عند الجزائري* "(9) ، فقد أكّد أنّ نموّ القشرة المخية لهذا الأخير هو نموّ ناقص و غير مكتمل، و عليه فهو " *كائن بدائي و حياته نباتية و غريزية بشكل أساسي، شأنه في ذلك شأن الفقريات الدنيا حيث تكون حياته خاضعة لسيطرة نشاط دماغه المتوسّط* " فالعربي هو ماكر و أخفش أي لا يبصر إلاّ في اللّيل.

وقد اختصّت مدرسة الجزائر منذ حوالي قرن من الزمن في الإعداد و التأسيس لنظرية في خدمة المُستعمِر حول سلوك و عقلية المُستعمَر. حيث كوّن الدليل العلمي صورة عن الجزائري و ذلك لخدمة الاستعمار فوصفه " *بالبدائي المُهمَّش، الساذج والغير قادر على القيام بنشاطات عليا ذات الطبيعة الأخلاقية و العقلية*" Porot *(10)*.

فهل فعلا العقلية المغاربية مختلفة بنيويا عن العقلية الأوروبية ؟

Henri Aubin (11) وهو أحد تلاميذ *Porot* أضاف أنّ أهالي الشمال الإفريقي [2] و من خلال سذاجتهم و إيحائيتهم و كذا افتقارهم للفضول العقلي يصلون إلى درجة عالية جدّا و يضيف *Henri Aubin* " *أنّ نفس الحتمية تشتدّ و تزيد من فقدان الشهية للعمل عند هؤلاء الأفراد الغير متحضّرين، كما تزيد من خمولهم و نزواتهم واندفاعاتهم و فقدانهم للإرادة، بالإضافة إلى الافتقار إلى المنطق في النشاطات المهنية و الميل إلى الكذب و السفاهة* "

هذه الأشكال المتعدّدة لصورة الجزائري كوّنت مسرحا للعلاقة الأخلاقية السوسيوثقافية والسوسيوإقتصادية للجزائريين و المستوطن، بل وللعرب المسلمين والأوروبيين المسحيين. حيث تميّزت بإنتاج مقولبات عرقية عظّمت من الغيرية وجعلتها وحشية و مخيفة.

---

[2] مقل منشور من طرف Patrick Fermi.free.fr/esquis…sur site internet avec l'accord de Patrick Clerov, chef du service de psychiatrie de l'hôpital Sainte-Anne de Toulon.

و عندما عُيّن *Frantz Fanon* كطبيب مسؤول في مستشفى البليدة، تناول بالدراسة مذهب البدائية [3] الملخّص في نظريات *Porot* و تلاميذه، حيث أثبت في بادئ الأمر أنّ هذه الأعمال مرّت تحت صمت الانقلابات العميقة التي أوجب من خلالها الغزو الاستعماري وجوده في المجتمع الجزائري. أعمال تميّزت بالغياب التام للإطار المرجعي السوسيوثقافي والذي عانى من اضطرابات خطيرة وخسائر كبيرة بسبب الاستعمار.
عاد *Frantz. F* مجدّدا إلى هذه النظرية الشبه علمية بحيث أشار هذه المرّة إلى الآثار المنتجة من خلال الظروف الاستعمارية و التي أدت إلى ضياع الشخصية.
لقد تركت العنصرية البيولوجية مكانتها أمام العنصرية الثقافية، فليس المهم لون البشرة أو شكل الأنف، لكن المهم هو أن يكون الإنسان ذو قيمة. و لهذا توصّل *Frantz.F* إلى إعطاء صورة أخرى للمُستعمَر وهي تلك المتمثلة في الصورة الطفولية المضطهدة، الغير مثقفة والمختلّة...إلخ. فمشروع المشاورات بين المستوطن و السلطات العمومية هو مشروع يهدف إلى تجميد مجتمع الأهالي و وضعه ضمن تركيبات قديمة أين تغيب كلّ أشكال التطوّر و عليه يكون بمثابة أفضل ضمان للسيطرة و الهيمنة الفرنسية.
مساهمة *Frantz.F* في الثورة الجزائرية نتج عنها منعه من الإقامة بالجزائر ، حيث انضمّ بعد ذلك إلى صفوف جبهة التحرير الوطني من أجل مواصلة نشاطه الطبّي و السياسي، حيث توفيّ بعد إصابته بسرطان الدم في 1961 عن عمر يناهز 36 سنة.
إنّ مفاهيم أطروحة *Porot* وتلاميذه انضمّت إلى كتابات التاريخ الإستعمارية التي طبعت على الجزائري والمغاربي بشكل عام سمة المتخلّف و المتأخر عن الجنس الأبيض لمحيط البحر الأبيض المتوسّط، فهو جزء من الجنس المحكوم عليه بالانقراض.

التصور الاجتماعي للآخر و الغيرية السلبية في خدمة المهمّة الحضارية

بالموازاة مع الأطروحة المطوّرة من طرف المدرسة العقلية بالجزائر، نجد أيضا الأدبيات المرتبطة بوسائل الإعلام و البرامج المدرسية، أين يكتشف القارئ الكتابات التي تناولت التصور الاجتماعي للآخر، مؤكّدة بذلك اللاّعدالة الثقافية بين الجزائري والمستعمر الفرنسي.
و من بين هذه الكتابات، إخترنا كتابات *Ernest Mercier* (1820-1907) (13). فيما يخصّ قانون الأهلية، و الموجود في كتابه « La question indigène e Algérie au commencement du XXe siècle, l'Harmattan » حيث أكّد هذا الأخير أنّه يوجد صنفين من المواطنين في الجزائر: الأول هم المواطنون الفرنسيون و الثاني هم الأفراد الفرنسيين، حيث أنّ المواطنين (المستوطنين) لديهم كافة الحقوق، والأفراد (المستعمرين) ينبغي عليهم التأقلم و التواؤم مع كلّ الواجبات، لأنّ قانون الأهلية هو الذي يحدّد الحقوق و الحرّيات.
و بإقصاء كلّ الأخلاقيات في السلوك السوسيوثقافي للجزائري، كتب *Mercier* قائلا: *" أنّ هؤلاء الأهالي لا بدّ أن يبقوا في حالة من التبعية و السيطرة التامة و المستمرّة للمُستعمِر، لأنّ عدم الأمان، السرقات و اللّصوصية هي أمور وراثية بالجزائر منذ قرون "*.
و بالإشارة إلى العنصرية الأكثر احتقارا و الأفكار الأكثر استهزاءا و استخفافا بصورة الجزائري، نجد أنّ *Mercier* تعمّق في غياب التمييز و التبصّر الذي أدىّ به إلى كتابة ما يلي: *" أهالينا هم في حاجة إلى الحكم، هم أطفال كبار غير قادرين على التصرّف بمفردهم، يجب أخذهم بحزم وصلابة، لا يجب أن نتحمّل منهم أيّ حماقة، لا بدّ أيضا من قمع كلّ ما يُفقِد العزيمة و يُحبِط الهمم، و في نفس الوقت يجب حمايتهم و توجيههم أبويا*

[3] البدائية تشير إلى القوم أو العشائر الدنيا المعاكسة للعقلية المتحضّرة.

و مساعدتهم، و خاصّة إستعادة تأثيرنا عليهم كالمثابرة على إبراز تفوّقنا الأخلاقي عليهم".

إذن هو دفاع عن الأفضلية الإستعمارية التي تعطي قوّة أكبر للإخضاع بدون الحفاظ على الأهالي، فهي تتظاهر في صورة أبوية مُهلكة و التي تحتضن الصورة/ الرأي والتي حسبها " الأهلي الجزائري " هو إبن الدولة (يتيم)، الأمر الذي جعلهم يعتقدون أنّهم الشعب الحاكم الذي يتفضّل و يتكرّم بتفوّقه على شعب يتيم، فالجزائري يظهر كقاصر، إنّها الصورة الحقيقية المقرّرة التي من خلالها تكوّن خطاب المهمّة الحضارية لفرنسا في الجزائر.

إعداد التّصوّر الإستعماري للمهمّة الحضارية

من خلال الكتابات السابقة وغيرها انطلقت الإرادة في إعداد التصور الإستعماري للمهمة الحضارية لفرنسا بالجزائر. أين تكوّنت تصوّرات حول الشعب المُستعمَر على أنّه قاصر و غير قادر على الحكم، و لهذا وجبت السيطرة عليه من أجل حمايته من حكمه الذاتي و خاصّة جعله خاضعا للتأثير الفرنسي من أجل تصحيح و تقويم غياب السلوك الأخلاقي عند الأهلي المسلم. الأمر الذي دفع بالكاتب إلى كتابة *" بعد أداء واجباته الدينية وإتمام الأعمال الخالصة، المسلم يعيش و يحيا(...)، فهو ليس لديه سلوك أخلاقي أو وعي فردي، لهذا يرفض الإستغراب ولا يبحث عن الفهم، ولهذا لا يصل إلى استنتاج أخلاقي للأحداث التي يشهد عليها "* (4).

بالحديث عن السلوك الأخلاقي للجزائري، لم يهتم رئيس بلدية قسنطينة (15) بالأوصاف مؤكّدا شرعية النظام الاستعماري في حكم شعب بدائي، حيث أكّد أنّ الكذب هو المصدر الرئيسي في سلوكيات هذا الشعب داخل المجتمع، و كتب في هذا الصدد:

أنّه لا يمكن كبح الكذب عند الجزائري حتى من قِبَل القواعد، هذا الخطأ الكبير أصبح طبيعة ثانية، فهو غير قادر على تقدير الأحداث، حيث لا يعرف أين تنتهي الحقيقة أو من أين يبدأ الخطأ، وحديثه لا يُوجَّه أبدا للحقيقة الخالصة، ألهذا لا يوجد اتفاق وتفاهم أخلاقي بيننا و بينهم؟ ولتغيير هذه السذاجة نحتاج إلى قرون من الاحتكاك والتواصل".

ساهم *Mercier* في تصغير الصورة/الرأي للجزائري، فوصفه بسلوك غير أخلاقي مليء بالخاصيات الأساسية لما تحت الإنسانية. و بدوره تحدّث *Maupassant.G* (17) عن الطبع الأهلي حيث كتب عام 1889 : *" الكذب يعتبر من أحد الإشارات المدهشة و الأكثر تفهّما للطبع الأهلي، هؤلاء الأشخاص هم كذّابون إلى حدّ كبير إلى درجة أنّه لا يمكن الثقة في كلامهم، فهل دينهم هو الذي يريد ذلك ؟ لا بدّ من العيش بينهم من أجل معرفة إلى أيّ مدى الكذب يشكّل جزءا من حياتهم، من قلبهم و من روحهم حيث أصبح بالنسبة لهم طبيعة ثانية ضرورية للحياة".*

في صورة المتوحّشين الحمقى، الآخر هو كائن ماكر وعنيف حيث لا يتوانى عن استخدام القوّة و القسوة في الوقت الذي اتخذت فيه فرنسا القرار بحكم شعب بربري و الخروج به إلى دائرة الضوء والحضارة.

هذه النظرة أكّدت الصورة التي أعطاها *Victor Hugo* (18) في " المشرقي " عن الأمير عبد القادر، تلك الشخصية البطولية و المكافحة في المقاومة الجزائرية ضدّ الإستعمار الفرنسي، *" الأمير المتأمّل، الشرس و الوديع، الشخصية المعتَّمة و المُقدَّرة، المختال، النشوان والثمل بالمجزرة، الحالم، المُلَغَّز و الجالس على رؤوس مقطوعة و المتأمِّل في جمال السّماوات ".*

إذن المهمّة الحضارية لفرنسا هي الدفاع عن الخطاب الإيديولوجي العنصري و الشرعي. فكتابات *Mercier* مثل سابقتها لـ*Maupassant.G* أو حتى للشاعر *Victor Hugo*، كلّها

---

[4] هذه الفكرة تعزّز أفكار ***Porot*** *حول مفاهيم الختمية، السذاجة الصبيانية و الإيجائية.*

ساهمت في ظهور صور متعدّدة تتذبذب بين الصبيانية، العمل الداعر (اللاّأخلاقي) ، الخضوع و الوحشية، صورٌ ساهمت في تأمين المستوطن كقوّة متفوّقة و متحضّرة في الجنس و العرق.

تكوين الغيرية (Altérité) الراديكالية في التصور الإستعماري

إنّ الطبع العنصري لهذه التصورات عمل على تعاقب بسالة و قوّة المستوطن و جرد العيوب و الشوائب للهوية الثقافية للأهلي، خطاب لا يقلّ عن ذلك التكوين الجذري للغيرية أو للآخر و الذي يجد تعبير المثالي- النمطي في العنصرية، التي يعتبرها حدثا إجتماعيا، في الوقت الذي يُسجَّل هذا الخطاب في الممارسات و الخطابات على افتراض التصورات، التنظير و تنظيم الوجدانات كما أشارت إلى ذلك *Denise Jodelet* في « Formes et figures de l'altérité, 2005 » .

الصورة/الرأي تكوّن طبعا في الإعدادات العقلية لهوام الوقاية الصحية. يصل إلى حدّ اعتبار الإعتقادات الدينية و الأحكام المتخلّفة للأهالي كمعوّقات أمام المحاولات و المجهودات التي ترمي إلى تثقيف و ترقية النفس ، كما تجعل كلّ محاولة للتحرير مستحيلة.

إنّ تصوّر العربي/المسلم تحت شكل الكائن الغير قادر، تحطّ من جوهر و ماهية ثقافته، حيث لا يستطيع أن يصل إلى العتق و التحرير بل ويكون أقلّ إستقلالية، فهو غير قادر على إنتاج عمل عقلاني. *" كلّ عمل منتج من طرف فرد عربي هو عمل لا بدّ من إعادته، عمل غير مُتقن، ومُنجز بإهمال"* هذه هي الصورة/الرأي التي وُجِدَت مُترسَّخة في التصور الإجتماعي للمستعمر.

خلاصة:

الخطاب الإيديولوجي الإستعماري ركّز على تعزيز السيطرة و الهيمنة الإستعمارية والمحافظة على اهتمامات الغرب من كلّ ضعف في الإرادة و الذبذبة الأهلية في تقسيم ثروات البلد ، و في الجانب الميداني، الجزائريون عُرِفوا ولفترة طويلة من الإستعمار بكلّ أشكال العنف، الاحتقار، اللاّتسامح، الإهانة، الاستغلال و الإقصاء.

في حين أنّ التصور الاستعماري غُذِّيَ ببعض المنعكسات الأيقونية، فعلى سبيل المثال العربي المسلم و الأوروبي المسيحي هم إشارات و أقطاب مرجعية في ميكانيزمات الانتماء العرقي و الديني، يكوّنون مجموعة من القوانين و المرجعيات الخاصّة، فالعربي/المسلم يرمز إلى السلبي عكس الأوروبي الذي يمثّل الإيجابية.

هذا القانون في القراءات نجده في حملات الترويج التي صاحبت الفترة الاستعمارية، ولهذا نجد العلاقة المستوطن الفرنسي/ الجزائري المسلم مُدمَجة في الميكانيزم الرأي/الصورة.

نستخلص في الأخير أنّه لا يخفى على أحد أنّ أبطال الثورة الجزائرية الحقيقيون، اعْتُبِروا و بكلّ بساطة على أنّهم Fellagas بمعنى آخر عصابات قطّاع الطرق و قطّاع الرؤوس.